قصة الفتاة التي حلمت بالوصول الى هارفارد.. وكتبت رواية واتهمت بالانتحال:

فكرة الأصالة المطلوبة من الكاتب المهاجر واحتكار الإعلام الغربي للصورة

ابراهيم درويش*

■ علق الكاتب زرفراز منظور في صحيفة «الاوبزيرفر» في مقال له عن هوس المنتجين والمخرجين البريطانيين للبحث عما اسماه «الاصالة» اي الاصوات «الاسيوية» القادرة على نقل تجربة الاسيويين في بريطانيا بدلا من الاعتماد على الاصوات الخارجة. وقال ان الصوت الاصيل لا يعني بالضرورة قدرة ابداعية على تقديم رؤية عن حياة الآسيويين وهمومهم في قلب المدن البريطانية. وقدم عددا من الامثلة عن هذا بالرواية الجديدة التي كتبها محرر سابق في «الفايننشال تايمز» غواتام مالكاني «لندوستاني» ويقارنها برواية اخرى هي «فوكسي ـ تي شيرت» عن الاسيويين في شرق لندن، خاصة في بريكلين. كاتب الرواية، انكليزي ابيض، نقل نبض الشارع في هذه المنطقة التي تحفل بتراث خاص عن المهاجرين القادمين من شبه القارة الهندية، ويتحدثون لغة هي مزيج بين البنغالية والانكليزية يطلق عليها احيانا «بانغليش»، وتجمع هذه بين لهجة شرق لندن، الثقيلة «كوكني» وبين لغتهم. ويعلق قائلا ان النقاد اعجبوا بقدرة الكاتب الابيض على نقل صوت وحركة اللغة هذه للعالم الروائي، بحيث يعبر ابطال الرواية عن كلمات حقيقية تقال في شوارع الاحياء في شرق لندن.

وفي مقارنة بين رواية الاول ورواية لندستاني، التي تأخذ غرب لندن مسرحا لها وتتحدث عن الشبان الاسيويين في حي لندني، ومثل الاولى تستخدم الرطانة واللغة المزيج التي يتحدث بها الشبان الاسيويون عادة، لم يكن النقاد راضين عنها.

فقد وصفها ناقد بأنها «كسولة مليئة بالنمطيات»، فيما وصف ناقد آخر اسلوبها بانه يشبه «علي جي» وهو الكوميدي الذي اخذ صورة الشاب الاسيوي «اليوب» وحولها الى مقلب كوميدي. والمقارنة بين العملين تؤكد ان الاولى رشحت قبل فترة في قائمة الاعمال الجيدة التي تستحق اهتمام القراء، اما الثانية فعلى الرغم من انها الرواية الاولى للكاتب فقد وقع عقدا بمبلغ 300 الف جنيه وحضرت لها الصحافة باعتبارها حدث العام.

هنا اذا، روايتان وحقيقتان عن عالم النشر والاعلام، فاذا كان معيار القبول والرفض ان هذه رواية جيدة وتلك رواية سيئة فالاولى تستحق الاهتمام، اما الثانية فلا.

منظور يقول ان المسألة لها علاقة بالمؤلف فالاول توني وايت، وهو ابيض اما الثاني فهو آسيوي، ولانه كذلك فما سيقوله عن حياة الآسيويين سيكون اصيلا مقارنة مع وايت الذي يعتبر خارجا عن السياق الثقافي في احياء الاسيويين. لكن هذا الافتراض يتداعى عندما نعرف ان مالكاني لا يعرف حياة ابناء الشوارع من الاسيويين، فهو درس في كامبريدج، وكان يعمل في صحيفة النخبة في مجال المال والاعمال «فايننشال تايمز» اي انه لم تكن له علاقة بحياة ابناء القاع في داخل المدن الكبيرة. هناك علاقة بين كونك اسيويا وبين ما حدث في فترة ما بعد ايلول (سبتمبر) 2001، فالمخرجون والسينمائيون اخذوا يبحثون عن اصوات اصيلة قادرة على نقل التجربة الحقيقية، كان هناك نوع من الجوع لهذه الاصوات من صناع الاعلام الذين يمثلون الطبقة المتوسطة البيضاء، ان كان هناك طبقة متوسطة في بريطانيا، ولانهم كانوا طامحين للكشف عن جوانب غير معروفة في عالم الاسيويين فقد كان لهم ضحايا، من الاسيويين، ومالكاني واحد من هؤلاء.

منذ احداث ايلول (سبتمبر) يمكن رصد عدد من الحالات والاتجاهات في مجال الانتاج السينمائي والتلفزيوني، سواء كان ذلك الانتاج تسجيليا ام روائيا، حيث اعتمد المخرجون والمنتجون على اصوات واسماء ووجوه عربية ومسلمة، وآسيوية في عمليات اخراج هذه البرامج التي جاءت على خلفية العرض والطلب. وملاحظة منظور ان الاسيوية/ المسلم/ العربي لا تكفي احيانا في تحليل وعرض ما يجري في داخل المجتمع الاسيوي او مجتمعات الدياسبورا، في محلها، مع ان العودة الى ابناء الجاليات يعتبر تطورا في حد ذاته، لانه على الاقل كسر من حدة الصور النمطية عن هؤلاء في الاعلام والسينما الرسمية، خاصة هوليوود، فريدلي سكوت في فيلمه «مملكة السماء» اعتمد على طاقم كبير من الممثلين العرب، واسند دور صلاح الدين لممثل سوري، وأحد مساعديه لممثل مصري. والممثل والمنتج الامريكي جورج كلوني اعتمد على عدد من الوجوه العربية في فيلمه «سيريانا»، وفي الدراما التلفزيونية البريطانية، ظهرت العديد من الوجوه الاسيوية التي كسرت على الاقل الصور النمطية ولكنها لم تؤثر على مسار القصة، خاصة في افلام التجسس التي كرست للارهاب الاسلامي.

وكون الشخص اسيويا لا يعني معرفته بحقائق مجتمعه، فرواية مونيكا علي الشهيرة «بريكلين» احد احياء شرق لندن، الذي تحول الى مركز سياحي وجذب للشبان، لمطاعمه وحياته الساهرة، وان حظيت باهتمام شديد وبيع منها ملايين النسخ، لم تعبر كاتبتها عن جوهر الحياة البنغالية في بريطانيا ولا عن فكرة الهجرة وظروفها بين ابناء شبه القارة الهندية، لسبب بسيط ان علي لم تنشأ في الحي وربما لم تزره.

وبنفس السياق يجب ان ينظر الى الدراما التي قدمتها القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني عن احداث الشغب في مدينة برادفورد «شغب في برادفورد»، وكتب نصها نيل بيسواس، والتي تتحدث عن المظاهرات واحداث العنف التي وقعت في المدينة في نيسان (ابريل) 2001. بيسواس بنغالي هندوسي، ومتخرج من جامعة اوكسفورد مما يطرح اسئلة كثيرة حول قدرته على بناء رؤية عن ابناء الجالية الباكستانية الذين يتحدث عنهم الفيلم وعن الدوافع التي ادت بهم

لمواجهات مع الشرطة وحرق وتخريب مبان عامة. ملاحظة منظور عن اصالة الشخص في تعبيره عن ثقافته وكون ابنائه مطالبون بالاصالة فيما لا يطلب من البيض نفس الشيء تظهر جانبا آخر من اشكالية الاسيوي الذي يتعامل مع اعلام غربي، فهو قد يقع ضحية «الاصالة».

ففيلم «حب + كراهية» الذي بدأ عرضه في دور العرض السينمائي اخرجه دومينك سافاج عن علاقة حب بين بنت مسلمة، ورجل ابيض من حليقي الرؤوس. سافاج مخرج ابيض لم يسأل احد من الذين استعرضوا فيلمه عن حقه في استكشاف مسائل شائكة من هذا النوع، فيما يجب على الكاتب من اصول اسيوية ان يظهر ولاءه اي اصالته.

الموقف هذا لا يعني عدم وجود استثناءات فكتاب مثل حنيف قريشي وهاري كونزرو ونديم اسلم وامثالهم لديهم القدرة على اكتشاف والتعبير عن مشاكل الاقليات مع انهم منغرسون قلبا وقالبا في اتجاهات ابداعية خاصة. والكتاب الاسيويون، مع ان مصطلح الاسيوي نسبي، يستطيعون الكتابة عن مشاكلهم ومشاكل مجتمعاتهم، كما يقوم نديم اسلم، في روايته «خرائط المحبين الضائعين».

ولكن ظهور كاتب وغياب اخر يقدم عملا جيدا له علاقة بدور النشر التي تخلق نجوما وضحايا في نفس الوقت. والجدل الذي ثار في الاسبوع الماضي حول الكاتبة البريطانية ـ الهندية الاصل كفايا فيسوانثان يؤكد هذا المظهر ، فهذه الفتاة الشابة التي حلمت بالوصول الى جامعة هارفارد الامريكية، كان مدراء النشر يخططون لتقديمها على انها اكتشاف العام، وتقديم عملها الروائي الاول «كيف حصلت اوبال ميهتا على اول قبلة، اصبحت شقية، واكتشفت الحياة».

وبدأت القصة عندما حصلت الفتاة التي لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها على عقد بنصف مليون دولار لكتابة روايتها الاولى. في البداية عندما بدأت الازمة واكتشف ان هناك تشابها بين عمل الفتاة وعمل اخر، قررت شركة «ليتل براون» الامريكية سحب النسخ من المكتبات لاعادة تحرير العمل من جديد واصداره مرة اخرى، خاصة ان الكاتبة الشابة التي ولدت في اسكتلندا وتعيش مع والديها الطبيبين في امريكا، قالت انها ربما وبلا وعي منها استلهمت الكثير من افكار كتاب اخر ألفته ميغان ماكفريتي «زحلقة اوائل»، والتي تحكي عن قصة فتاة تحلم بالدخول في جامعة النخبة هارفارد وهو ما تحكيه الفتاة الهندية في روايتها الاولى.

ولكن عندما تبين ان الاتهامات التي ساقتها صحيفة جامعية لا تتوقف عند الاستلهام بل نقل مقاطع من الرواية الاولى، واتهام كاتبة اخرى الكاتبة الشابة بالنقل عن روايتها، وعندها قررت الشركة سحب النسخ والغاء العقد. تركز الجدل حول الراوية وانتحال الفتاة على المحررين الذين ساعدوها في انجاز العمل، وهنا اكدت دار النشر ان المحررين قاموا بتعديل النص الذي كتبته الفتاة الشابة بنفسها. وفي حالات من هذا النوع، يتم تداول الاتهامات والتحلل من المسؤولية، لتضرب السكاكين المتهم الاول وهو الكاتبة في هذه الحالة.

فيسوانثان، قالت بعد اندلاع الازمة انها ارادت كتابة قصة عن فتاة طامحة ترغب في الدخول للجامعة، ولكنها عندما اكتشفت اوجه الشبه شعرت بالذعر، وهو الذي تعيش فيه الان بعد ان دمر مستقبلها الادبي، خاصة ان مقالاتها الصحافية التي كتبتها في صحيفة محلية كانت تتدرب فيها تعرضت للمراجعة والتدقيق.

كما ان عقدا كانت شركة «دريم ووركس» للانتاج السينمائي التي يترأسها المخرج المعروف ستيفن سبيلبيرغ، كانت ستوقعه لشراء حقوق الرواية هذه وتحويلها لفيلم لم يعد قائما.

وهنا يثور تساؤل له علاقة بفتاة طامحة تقول ان لديها «ذاكرة فوتوغرافية»، وطموح دور النشر الباحثة عن اسماء جديدة ووجوه تحقق لها مبيعات في سوق النشر، الذي

كفايا فيسوانثان

تنافسها عليه الان مواقع الانترنت، فسواء كانت الفتاة ضحية لطموحها او ضحية لدار النشر، فهي الان قابعة في غرفتها في الجامعة التي حلمت بالدراسة فيها، تلملم مستقبلا لن يكون ورديا. الكتاب الشباب يقعون في اسر النقل، وهذا لا يعني دفاعا عن الفتاة، فانا هنا لست عارفا برواية الشابة والامريكية التي نقلت عنها، ولكن ازجي ملاحظة عامة عن الكاتب الناشيء الذي يتأثر والاستعادة والنسخ احيانا، فهم في هذا العمر من التكون والتشكل يستلهمون اكثر مما يبدعون، فمن لا ينكر اثر المنفلوطي او طه حسين على بداياته في الكتابة.

والانتحال اشكالية قائمة في الادب، فدان براون صاحب «شيفرة دافنشي» اتهم بالانتحال وبريء في معركة قضائية مثيرة. ومن هنا تبرز معضلة الفتاة، فهي في خطواتها الاولى وان اظهرت مخايل الذكاء والاسلوب المتميز، الا انها لم تزل في مرحلة البداية، وبدلا من التقدم للامام ذاقت طعم النجومية لفترة قصيرة، حيث دخلت روايتها الان المنتحلة في معظمها، الى قوائم اشهر كتب «نيويورك تايمز» الشهر الماضي وتقوم بلملمة حياتها في ساحة من السكاكين التي شحذت لها.

وهنا نعود الى البداية وهي ان فكرة الاصالة، والوجوه الجديدة، غالبا ما تتداخل في صناعتها، فكرة الغرابة، والتسويق، والموضوعات التي ترى دور النشر انها طريق لتحقيق الربح، في احيان ينجح الكاتب بالمرور عبر امتحان الاعلام والشهرة، وأحيانا اخرى يفشل كما حدث مع الكاتبة الشابة. كل هذه الاسئلة لا تعني غياب ادب ابداعي ينتجه ابناء المهاجرين في مهاجرهم وبلغات مواطنهم الجديدة، بل ان هناك نوعا من الفيضان في الاعمال الروائية، والشعرية، والمسرحية التي تصدر هنا وهناك بعضها يحظى بنقد والبعض الاخر يوزع توزيعا محدودا، والكتاب بعضهم من اصول عربية، وهندية وباكستانية، ومسلمون من افريقيا، ولم تعد الكتابة تستكشف فقط اشكالية الهوية، والتوزع والتسطح، بين «المنفى» و «الوطن»، والغياب في الواقع، بل تمس الكثير من مشاكل المهاجرين، والعلاقات المتداخلة ضمن ثقافة العالم الجديد.

هناك ادب حقيقي ينتجه ابناء المهاجرون، ودراسات اكاديمية تعد عنهم واصوات متنوعة، وانطولوجيا في الشعر والقصة القصيرة والرواية، وكمثال واحد عن هذا التنوع يمكن الاشارة الى المختارات التي قدمها شيام سيلفادوراي «قصة ـ والا: قصص قصيرة من كتاب جنوب آسيا» وتشير لهذا التنوع، وما سبق هو عن اثر فكرة احتكار الصورة والهوس في البحث عن وجوه اصيلة، تعبر عن ثقافتها وتمتحن في نفس الوقت.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

جانب من حي بريك لين

تداعيات

تداعيات باقة ورد على ضريح حنّا

رشاد أبوشاور

■ هاتفت صديقي عوني صادق:

ـ غداً سأذهب وإيّاك لزيارة صديق!

ـ من هو؟

ـ صديق لن يستقبلنا، وسيبقى طيلة الوقت صامتاً، بينما نحن نروي له بعض فصول ما جرى على مدى 22 عاماً، هي فترة غيابه...

سألني عوني بنفاد صبر:

ـ يا أخي ما هذه الألغاز؟

قلت له:

ـ سنأخذ له باقة ورد، فهو يحب الورد، والنظافة، ألا تذكر كان مكتبه نظيفاً دائماً، تنتشر في أرجائه نبتات دائماً خضراء، وأحياناً مزهرة تعطّر جو المكان...

وحتى لا أتسبب لعوني بمزيد من الإرهاق، خاّصة وقد أجريت لعينه اليمنى عملية صعبة، وهو ما زال في فترة النقاهة، وبانتظار الجزء الثاني من العمليّة، قلت له دفعة واحدة:

ـ سنذهب لزيارة صديقنا حنّا مقبل، في المقبرة المسيحيّة في (أم الحيران) المنطقة التي كانت خارج العاصمة الأردنيّة عمّان فصارت أحد أحيائها...

بدهشة سألني:

ـ وهل حنّا مدفون هنا في عمّان؟!

معه حقّ عوني، فعندما اغتيل حنّا يوم 3 أيّار (مايو) 1984، كان عوني مقيماً في (الكويت)، وجثمان حنّا نقل من (قبرص) إلى عمّان حيث ووري الثرى يوم 5 أيّار (مايو)...

مبكّراً استيقظت كعادتي، وبدأت أتأمّل أشجار الورد ـ ورد بلدي بألوان كثيرة: أحمر، أصفر، أبيض، وألوان محيّرة، وكلّها تتضوّع عطراً طبيعياً، وتتفتّح برقّة، وتكوّن مهرجاناً لونياً يتناغم مع أزهار رقيقة تنمو حولها بأناقة...

استيقظت زوجتي وابنتي (زينب)، وجعلتا تجمعان أجمل وأينع وردات للصديق حنّا. زينب لا تعرف (عمّها) حنّا، لأنها ولدت بعد استشهاده (غيلة وغدراً)، ولكنها منّي، ومن أمها تعرّفت إليه، ومن (كتاب حنّا) الذي أعددته أنا وسلام العزيزة ابنة حنّا.

توجّهت إلى (الرابيّة) واصطحبت عوني، ومضينا إلى المقبرة.

ميّلنا إلى المكتب في المدخل، وتناول عوني ورقة صغيرة فيها معلومات عن قبر حنّا استخرجها الموظّف من الكمبيوتر:

حنّا مقبل، موقع 11، قسم 9، قبر 25.

انحنى عوني على القبر، وهمس لحنّا:

ـ يمكن تكون ارتحت يا أبو ثائر...

ثمّ طوى جسده وقرفص لصق القبر، قرب الرأس، وأخذ يمسّد على الرخامة، وهو يهمس بكلام ما لم أتبيّنه.

أشعل سيكارة، وغرق في الصمت، ثمّ لنخرج من جو الحزن الثقيل، قلت له مذكّراً:

ـ كان يحب الورد...

فككت الباقة، ومددت يدي له بوردات منها فوضعها ببطء على الرخامة، راسماً تكويناً جميلاً.

ما تبقّى من الباقة وضعته فوق الشاهدة، قلت:

ـ ليتشممها أطول مدّة، ويتذكّر أننا لا ننساه.

قرأت شعراً على قبر حنّا، لم أهتد لقائله وإن خطر ببالي الشاعر اللبناني الشهيد موسى شعيب:

قتلوني يا عار بنادقهم
قتلوني وأنا خبز الفقراء اليومي
لم يدروا أن اسمي غابة أسماء
لم يدروا أن العشب الأخضر ينبت
من أضرحة الشهداء

وعلى القبر قرأت أيضاً:

حنّا مقبل، ولد في بلدة (الطيّبة) بتاريخ 4 نوفمبر 1941، وشعار اتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين الذي وضعه هو: بالدم نكتب لفلسطين، وتذكيراً بدوره: اغتالته يد الغدر وهو يعمل على ترسيخ مفهوم الوحدة الوطنية...

حنّا مقبل شهيد الموقف والكلمة الحرّة الصادقة...

كلمات تذكّرنا بأيّام خلت، نحنّ إليها، وما زال بعضنا ينتمي لقيمها، وفي مقدّمتها: الصداقة والوفاء...

عندما اغتيل حنّا في قبرص كان أميناً عاماً لاتحاد الصحفيين العرب، وهو قبل ذلك الصحفي المحترف الذي تخلّى عن كل امتيازاته في الصحافة العربيّة، وعمل على بناء صحافة ثوريّة فلسطينيّة، مسخّراً خبراته، وطاقاته التي امتاز بها دائماً وبنكران ذات.

قبره تغطّيه شجرة زيتون كأنما هي من زيتون (الطيّبة)، من زيتون كرم والدته التي لم يكن لها ولشقيقاته البنات غيره...

ألا يجدر بالصحفيين الفلسطينيين أن يحتفوا بذكرى مؤسس صحيفة (فتح) ومجلّة (فتح) الأسبوعيّة، والمؤسس الحقيقي لـ(فلسطين الثورة)، وصاحب المؤسسة الصحفيّة (القدس برس) و(الشرق برس) التي خرّجت عشرات الأسماء الصحفيّة؟!

عن الجثث

نصر جميل شعث*

(1)
لو يسمحِ الله للميتِ بالبكاء على نفسه،
لتحولَ جثْمانُهُ إلى قاربٍ.

(2)
البكاءُ على الميّت لا يُحركُ ساكناً.

(3)
أنجعُ الحلُولِ لإخْصاب الصحراء
دفنُ الموتى فيها.

(4)
الميتُ يُباشرُ بكاءَه تحت الأرض،
هذا ما يُفسّرُ نماءَ الأعشابِ في المقابر.

(5)
قال مُزارعٌ:
أخصبُ التراب
ما آلت إليه الجثث.

(6)
لأنّ للتراب احتمالات الطهارة
والنجاسة،
يَلْقَفُ كلَّ الجثث.

(7)
لأنّ البحرَ طاهرٌ بذاته،
يلفظُ موتاه.

(8)
من حكمة البحر:
أنّ لجثثِ الغرقى دليلاً واضحاً.

(9)
النهرُ أقلّ حكمة منَ البحر،
في التعامل مع موتاه.

(10)
كانَ غرابُ الله صاحبَ حكمةٍ
بهذا الشأن.

(11)
كانَ يَمشي،
بمحْضِ الصدُّفة صارَ جُثّةً،
الصدُّفةُ خَرْقٌ فاضحٌ
لطوْقِ النجاة!

(12)
المستنقعاتُ جاهلةٌ جداً،
وأخطرُ الصمتِ
صمتُ المستنقعات.

(13)
لولا انفعالُ البحرِ وملْحُهُ..
لضاعتِ الحكمةُ.

(14)
لكنّ البحرَ عدوٌّ غامضٌ،
بالذات، وهُو هادئٌ،
وانْفعالُهُ يكشفُ عنهُ.

(15)
البحرُ عدوٌّ قَوِيٌّ وخلُوقٌ وجميلٌ
يَحرصُ على تسليمِ الجثثْ.

(16)
البحرُ واللسانُ:
يتماثلان في وظيفة اللفظ،
يختلفان في النيّة واللغة.

(17)
ثمّةَ فرقٌ أيضاً:
البحرُ يلفظُ عن حكمة،
اللسانُ ليس ، دائماً، صاحبَ حكمة.

(18)
العينُ بحر ..
يتطهّر من تلقاءِ حِكْمته.

(19)
القلوبُ في الأرض،
داخل رُمّانة،
جَرّافةٌ على التراب،
وأرئيل شارون في الطائرة!

(20)
لهُ التجلّي في الفراغ،
لي الهبوطُ إلى فراغ القبو،
للبياضِ مَحْبَرَةُ النيّة.

(21)
يَرتدي قميصاً ناصعاً
بيد أنّ أمّهُ تَخافُ عليهِ
مِن بُقَعِ التفاحة!

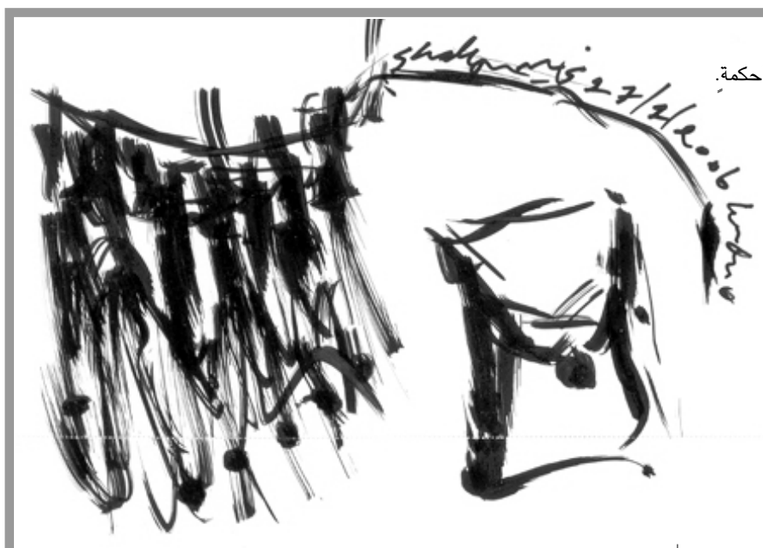

* شاعر وناقد من غزة
Naser_j79@hotmail.com